الفصل التاسع والأربعون
بيان ما فى القاهرة من دكاكين طوائف الحرف
وأعداد العاملين بها

ولأن أرباب الحرف الآتى ذكرهم يخضعون لإدارة المحتسب فقد أقاموا موكبا عظيما وكأنه موكب السلطان. وبعد أن حَمَد المحتسب أغا اللهَ وأثنى عليه ما هو أهله من ثناء فى جامع المحمودية اعتلى صهوة جواده، فأطلق الجند بنادقهم تحية وتعظيما له، وعزفت الموسيقى العسكرية، ودوت أصداء كلمة الله فى جميع أرجاء مدينة القاهرة.

وفى بداية الموكب مرَّ الصوباشى فى سبعمائة قواس يحملون العصى وألف فارس من البدو وثلاثمائة من حملة المشاعل، مر كذلك فى معيته مئات الموسيقيين والمطربين، إذ إنهم تحت إدارته، واشتد الزحام وكأنما ظهر حمار الدجال وازدحم الناس حوله، وارتفعت الضجة كأنما حل يوم الحشر، وارتفعت أصوات جلادى الصوباشى قائلين: «هذا وكيل السلطان والى الولايات حفظه الله، الله ينصر السلطان».

وقد نبهوا الناس، الذين ازدحموا كموج البحر الخضم، بهذا من كلامهم، ثم قدم الصوباشى وعليه مظاهر العظمة والجلال وعلى جانبيه من يحملون عدة آلاف من القناديل وأربعون أو خمسون من الغلمان الصباح، ومر فى أثرهم أربع فرق من فرق الموسيقى العسكرية، إلا أنه فى ليلة المحتسب تلك لم يحضر الأعيان ولا الأشراف والعلماء والصلحاء ومشايخ السادات والأئمة والخطباء والقضاة قط، فقد كانوا ينتظرون قدوم الموكب فى السوق السلطانية، وهم لم يكونوا مكلفين بالمشاركة فى الموكب.

وفى تلك الليلة ظلت المدينة مضاءة بالزينات حتى مطلع الفجر وكأنها ليلة القدر، وبأمر من الباشا اجتمع الغلمان والشباب والفتيات ويسمى الظرفاء فيما بينهم موكب المحتسب بـ «موكب الأحباء»، ففى تلك الليلة كل من فى مدينة القاهرة من الفتيات الحسان يلبسن حليهن الذهبية وثيابهن المزركشة ويشاهدن هذا الموكب بعد الاستئذان من أولياء أمورهم، وينبغى أن يكون لكل ابن من أرباب الحرف ثوب خاص وعلى رأسه

ريشة ويمر هؤلاء بينما الموسيقى العسكرية تعزف.

وبعض الصوفية يسمون هذا الموكب موكب المهرجين المضحكين، وواقع الأمر أن كل من فى مدينة القاهرة من مضحكين ومهرجين قد خرجوا من بيوتهم لتقديم عروضهم الفكاهية فى الأسواق.

وبعد موكب الصوباشى تمر:

- طائفة الفلاحين:

وهم فى الطليعة، إذ إن حرفتهم هى أقدم الحرف، وهم لا يحصون كثرة فى مصر تنتهى سلسلتهم بـ «آدم عليه السلام»، ومنهم طائفة الكيالين الذين يكيلون القمح وعددهم ٢٠٠٠.

وطوائف «المغربلين»: وهم ينخلون الشعير والقمح، فإذا ما اختلط القمح والشعير والعدس والأرز والفول والقمح وحب الخشخاش، ينخلون هذا كله فى طرفة العين.

ويكتبون على الغربال الذى ينخلون به القمح «لا إله إلا الله، وبسم الله، ويا الله، ويا شافى، ويا كافى» وغير ذلك من الأسماء. وهم لا دكاكين لهم وعددهم ١٠٠٠ رجل، خمسمائة منهم يعملون فى أنبار يوسف وخمسمائة يخدمون أعيان مصر.

ثم طائفة «صانعى الغرابيل»: وهم يصنعون المنخل والغربال، لهم ١٦٠ دكانا، يعمل بها ٣٠٠ عامل.

- طائفة البستانيين:

فى القاهرة ٣٠٦٠ حديقة وحقلا، تنتهى سلسلة هؤلاء بـ «إسماعيل عليه السلام»، وعددهم ٩٣٠٠ بستانى.

ويمر الزُرّاع والكيالون والمغربلون والبستانيون وفى أيديهم الطبر والفأس والمجرفة والمسحاة ويرددون على ألسنتهم قولهم «يا خالق، ويا رزاق، يا منعم، يا مغنى» وقد تزينوا من الرأس إلى القدم بالزهور والبراعم والريحان والسنبل والحناء والنسرين وفى أيديهم الليمون والنارنج، وفى معيتهم رئيس الكيالين ورئيس البستانيين، ويسيرون

متحازين، وتمر معهم نساؤهم والموسيقى تعزف ثم:

- طائفة سقائى الجمال:

لا دكاكين لهم، وهم ٣٠٠٠، وطائفة «سقائى الحمر»، وهم كذلك لا دكاكين لهم، وعددهم ٨٠٠٠ سقاء حمار ويتعذر المرور فى شوارع القاهرة من شدة إزدحامهم، وطائفة «السقائين المتجولين» وهم ٨٠٠.

- طائفة بائعى الماء:

لهم أربعون دكانا، وهم يبيعون الماء المقطر، ويزينون دكاكينهم بالأكواب والطاسات المتنوعة، ومن يشربون عندهم يدفعون إليهم ما تجود به نفوسهم وأقل ذلك «نقرة». إنهم ١٠٠ شخص، منهم من يحمل القرب المعطرة بالمسك ويملأها من هذه الدكاكين ويوزعها على رجال الدولة. ولهم طاسات نظيفة مصقولة كأنها من الذهب الخالص، كما يقدمون الماء العذب فى كاسات وكيزان متنوعة.

- طائفة دكاكين العرقسوس:

أى من يغلون جذور العرقسوس لبيعها، وينمو العرقسوس بكثرة فى بلاد الترك فى منتشة وايدين وصارحان وجزيرة استانكوى وهو جذر حلو المذاق وعصيره عظيم النفع للمصريين. وجاء فى تذكرة داود أنه عظيم النفع للبلغم ومدر للبول.

والواقع أن البلغم يكثر بين المصريين وكل أهل مصر يكثر منهم السعال، وفى كل البلاد يتنحنح العرب وبعد شرب العرقسوس يسعلون فيبصقون البلغم فى حجم السمكة فيتخلصون منه. إنه عصير جد نافع، وعدد الدكاكين التى تبيعه ١٥٠، يعمل بها ٣٠٠٠، ويبيعونه فى جرار وينادون عليه قائلين: « يا عرقسوس يا»، ويبيعون الكأس منه بمنقره، وهو شراب مرطب فمن شربه فى يوم شديد الحر أصبح جسمه قطعة من ثلج. وتنتسب هذه الطائفة إلى «عمر».

- **طائفة بائعى الخشاف:**

دكاكينهم ( )[1]، وهم ٧٠ ويبيعون خشاف الفاكهة، فكنت أحب شراب التمر هندى المسك اللذيذ وأشرب منه كل يوم كأسا.

- **طائفة بائعى الصوبية:**

لهم ( )[2] دكانا، يعمل بها ٧٠ بائعا، وما يطلقون عليه فى مصر اسم «الصوبية» بوزة كاللبن يصنعونها من أرز دمياط وفراسكور والمنزلة، ويوضع فيها القرفة والقرنفل والجوز وتحلى بالسكر. ومنها نشوة خفيفة ودفئ، وتبعث فى الجسم القوة والعافية، وتلطف حرارة الجسم.

- **طائفة بائعى الشراب الجائلين:**

وهم يبيعون عصير المشمش فى أكواب من القصدير، ويبيعون كذلك شراب الزبيب ويضعون فيه الأفاويه، ويشرب مثلجا. وهو مشروب حامض الطعم.

وشراب الثعلب ويسمونه فى العربية «خصية الثعلب»، وهو نبات أبيض مثل فصوص الثوم يجفف ويسحق فى هاون ويحلى بالعسل والسكر ويشرب مع الزنجبيل، ولكن شرط طهوه أن يقلب مثل الفالوذج حتى لا يصبح كرة كرة. ومن يشرب منه فنجانا شفى من آلام الصدر، كما أنه مقو للبصر والجسم.

- **طائفة بائعى الفالوذج:** لهم ٧ دكاكين، وهم ٦ بائعين.

- **طائفة اللبانين:**

لهم ٧٠ دكانا، وهم ٣٠٠ بائع ودكاكينهم تبيع الماست، وفى الصباح يبيعون اللبن الساخن وفيه الكعك، ويقدمونه للبعض فى فناجين.

- **طائفة بائعى الشاى واليانسون:**

لا دكاكين لهم، وهم ٣٠ بائعا يتجولون حاملين أباريق الشاى واليانسون الساخن.

- **طائفة الخلالين:**

توجد دكاكينهم فى حارة بأكملها بالقرب من شجرة الدر، وهم ١٠٠٠ بائع.

(١، ٢) بياض فى الأصل.

- **طائفة بائعى المخلل:** ٤٠ دكانا، و٦٠ بائعا.

- **طائفة بائعى القهوة:**

لهم ٦٣ مقهى فى بولاق ومصر العتيقة ومصيف قايتباى والقاهرة، وهى مقاه واسعة تستوعب الواحدة منها ألفا من الرواد، ولها مقاصير وشادروانات وأحواض للماء، وكان يتردد عليها المغنيون والشباب الصباح وبلغاء الشعراء.

ومن أشهر مقاهى القاهرة وأجملها هى مقهى الغورية والمقهى الجديد، ومقهى باب الفتوح ومقهى باب الشعرية ومقهى الكتخدا الحبشى ومقهى ميدان الروملى ومقهى السلطان حسن، ومقاه القلعة الثلاث ومقهى الجماميز ومقهى الصقنقورية وهى مقاه ذات أسبلة وفسقيات وأحواض، وفى كل منها مغن رخيم الصوت، وعازف بارع، ولا تخلو من الضوضاء والضجيج ليل نهار.

ومما تمتاز به أنه إذا قدمها رحالة من الترك أو الفرس أو العرب حل ضيفا فى ركن من أركانها، وهى ملتقى أهل العلم والعرفان. ومجموع من يعمل فى هذه المقاهى ويخدم فيها ٣٠٠٠ شخص.

- **طائفة بائعى القهوة الجائلين:**

لا دكاكين لهؤلاء، إنهم يبيعون القهوة المُمَسَّكة فى أباريق، ويطوفون فى الأسواق السلطانية، وبعضهم يربح ربحا عظيما. أما أكثرهم ربحا فهم من يقدمون القهوة فى مقهى الخرابة، ويغلون قنطارا من القهوة يوميا فى مقهى «الحبشى» ويتحصل لهم ربح عظيم، ويؤدون الضرائب لرئيس شطار الباشا وهم تحت حمايته.

- **طائفة بائعى لور النبى:**

لا دكاكين لهم، وهم يبيعون بذور الشمام وعبد اللاوى، وعددهم ٣٠٠ بائع.

- **طائفة بائعى الدخان:**

وهم يقدمون الدخان فى ٦٣ مقهى إضافة إلى ألف وستين دكان تبيع التبغ فى القاهرة، وهم مقيدون فى سجلات الصوباشى، ومنادوهم وبائعوهم ٢٠٠٠، ويشتركون فى الركب مع أصحاب المقاهى.

- **طائفة المداحين:**

وعددهم ٧٠٠، وهم يشتركون فى الموكب مع أصحاب المقاهى.

- **طائفة المقلدين والمهرجين:**

عددهم ٣٠٠، ويقدمون عروضهم الفكاهية الضاحكة فى المقاهى والحانات.

- **طائفة بائعى البوزة:** إنهم مسلمون لهم ٧٥ حانة، يعمل بها ٦٠٠.

- **طائفة الخمارين:**

وهم جميعا من النصارى واليهود، لهم ٢٠٠ دكان، يعمل بها ٦٠٠. وهذه مخالفة للشرع، لذا ليس لها موكب مستقل، ويمرون عقب رئيس أصحاب المقاهى. وهم مذمومون مكروهون.

وقد مر من سلف ذكرهم من الطوائف وهم السقاءون وبائعو الخشاف وكل بائعى المشروبات فى موكب أصحاب المقاهى وهم فى صخب عظيم، يحمل كل منهم فى يده شمعة كافورية، وعدة آلاف من القناديل مع الراقصين وهم يدقون الدفوف، فى معية رئيس الخلالين ورئيس أصحاب المقاهى، وفى أثرهم مرت فرقة الموسيقى العسكرية.

(الفصل الرابع)

طائفة الزياتين بائعى الزيت الحار

لهم ١٧٠ معملا، يعمل بها ١٨٠٠. إنهم تجار غاية فى الثراء إلا أنهم غاية فى قذارتهم.

- **طائفة بائعى زيت السمسم:**

لهم ٢٠٠ معمل، يعمل بها ٧٠٠. وهؤلاء يستخرجون زيت العصفور والسمسم واللوز. وهم قوم معرفون بقذارتهم. وفقراء مصر جميعا يتناولون الزيت الحار وزيت السمسم والطحينة.

وفى كل ليلة يقدح عدة آلاف الأرطال من الزيت الحار، خوصوصا فى ليالى المولد وليالى رمضان وليلة المحتسب هذه. وتصدر مصر زيت البذور إلى جميع الولايات، ولذلك فهذه الطائفة طائفة ذات ثراء، ولا يتبع أحد طائفة هؤلاء فى الموكب، وقد ساروا فى الموكب حاملين المشاعل من زيوت مختلفة وقد لبسوا ملابس خشنة ملوثة

بالزيت وبعضهم مضوا عراة وملأوا قربهم بالزيت وحملوها على أكتافهم ولوثوا ملابس الناس المتزاحمين فى السوق السلطانية بما يحملون من قرب الزيت وسخر الناس منهم وأفسحوا لهم الطريق، وقد مر هؤلاء الزياتين وهم يدقون دفوفهم وفى معيتهم حصانهم وسط عزف الموسيقى.

وقد أوصد أهل القاهرة دكاكينهم قبل الموكب بخمسة أو عشرة أيام خوفا من أن تتلوث ثيابهم من هذه الطائفة.

(الفصل الخامس)

طائفة كبير المعماريين

ويتبع هذه الطائفة كثير من أهل الحرف، ومنهم:

- **حرفة النجارين:**

لا دكاكين لهم، وهم ٣٠٠٠، ومنهم المسلم ومن هو على غير الإسلام.

- **قاطعو الحجارة:**

يقطعون الحجارة، مثل فرهاد، فى جبل الجوشى وبالقرب من أثر قدم النبى، فيؤتون على ما فى الجبل من أحجار. وعددهم ٢٠٠٠ شخص.

- **قاطعوا الرخام:**

أى من يرصفون الحمامات وأحواض الماء بالرخام. لهم ٦٠ دكانا، يعمل بها ٣٠٠، وخبرتهم ومهارتهم لا تتوفر لأحد فى بلد آخر. وإن عمائر القاهرة لها ذيوع الصيت فى الآفاق برخامها.

- **حفارو الآبار:** عددهم ٣٠٠.

- **صناع دواليب السواقى والطواحين التى تديرها الخيول:** عددهم ٢٦٠.

- **عمال البناء:**

الكثرة الكاثرة منهم من السود، والفلاحون فيهم قليل. وعددهم ٣٠٠٠ وأسماؤهم مقيدة فى الدفاتر، ولا يستطيع كل أحد مزاولة هذه الحرفة. إن مصر بلد العجائب، ولأنهم جميعا عمال حكوميون فهم مسجلون.

- **كاسحو المراحيض:**

وجميع مراحيض القاهرة ليست لها مجار بل هى آبار. وفى كل عام يكسحها القائم على كسحها ويسكبونها فى الرمال. وليست لهم دكاكين، وإنما ينتظرون كل صباح فى الصليبة وميدان الروملى أو فى أركان أخرى ومعهم مجارفهم وفؤوسهم وزنابيلهم، وعددهم ١٢٠٠ عامل.

- **صانعو اللَّبِنْ والآجُرّ:**

لا دكاكين لهم، بل لهم قمائن فى الأماكن المطلة على شاطئ النيل، وهم ٦٠٠.

- **الفخاريون:**

لهم ١٠٠ دكان عند ساقية الغورى ومصر العتيقة وجهات أخرى، عددهم ١٠٠٠، وهم يصنعون حقاق الأدوية والمعاجين وكأنها من الصينى.

- **بناؤو الحمامات:** وهم ٣٥٠ من مهرة الصناع يختصون ببناء الحمامات.

- **صانعو الجص:**

لهم ٧٠٠ معمل بالقرب من السيدة نفيسة خارج مدينة القاهرة وفى مصر العتيقة وبعض الجهات الأخرى.

- **الجصاصون:** لهم ٢٠٠ دكان، وهم ١٣٠٠.

- **قاطعوا البلاط:**

أى من يقطعون بالمنشار حجرا أبيض أملسا يشبه الرخام، ويرصفون به الجوامع والمنازل بدلا من الرخام. وهم ٦٠٠ عامل.

- **صانعو الأخشاب:** لهم ٢٠٠ دكان، يعمل بها ٥٠٠.

- **صانعو النعوش:** لهم ١٠ دكاكين يعمل بها ٣٠.

- **صانعو المحفات:**

وهم يصنعون المحفات والتختروانات للحجاج لهم ( )[1] دكانا، يعمل بها ١٦٠.

(١) بياض فى الأصل.

- **صانعو الأسِرّة:**

وهم يصنعون الأسِرّة من جريد النخل، ويصنعون أقفاص السكر. دكاكينهم ٥٠ يعمل بها ٨٠.

- **الخراطون:** لهم ١٠٠ دكان، يعمل بها ٦٠٠.

- **النجارون:**

لهم فى الدرب الأحمر ٨ دكاكين، يعمل بها ٢٠ نجارا. ويظهرون مهارتهم فى الترصيع بالصدف الهندى.

- **صانعو فتائل قذائف البنادق:**

لهم ٢٠ دكانا، يعمل بها ٣٠.

- **الرسامون:**

لا دكاكين لهم، يعملون فى البيوت والمنازل التى تحت الإنشاء، وعددهم ٧٠٠، منهم نقاشون فى براعة «مانى» و«بهزاد»[1]. ويعجز الرسامون فى البلاد الأخرى عن بلوغ مستوى مهارتهم.

- **صانعو الصناديق:** لهم ٢٠ دكانا، يعمل بها ٨٠.

- **صانعو الطنابير:** لهم ٩ دكاكين، يعمل بها ٢٠.

وهؤلاء الذين سلف ذكرهم فى الفصل الخامس ٢٤ طائفة، وعددهم ١٥٤٦ من صفوة الجند، وكلهم يتبعون أغا المعمار.

وقد مروا جميعا فى مجموعات حسب حرفهم متمازحين، عارضين سلعهم، حاملين مئات الآلاف من الشموع الكافورية، وقد ارتفعت أصواتهم بالغناء كأنهم فى حفل عرس، ثم مَرَّ رئيس المعماريين وكبير الرسامين جنبا إلى جنب وفى معيتهم فتيان يعزفون الموسيقى.

---

(١) بهزاد: من أهل مدينة هراة عاش فى القرن الخامش عشر الميلادى (أعظم وأشهر مصور ورسام فى العصر الصفوى)، وقد شبهه المؤرخون بمانى ـ رسام فارسى ـ الذى جعل من التصوير معجزة، ومانى أحد أنبياء الفرس المزعومين قبل الإسلام. انظر: المعجم الفارسى العربى الجامع للدكتور حسين مجيب المصرى ص٦٢، ٣٩٠. وكذلك مادة «منو» من شرح القاموس للزبيدى.

(الفصل السادس)

طوائف نجارى السفن

لأن أباهم الروحى نوح عليه السلام لا يتبعون موكب المعمارين، ويشكلون موكبا يترأسه كتخدا[1] القبطان.

- **نجارو المراكب:**

لا دكاكين لهم، لهم تكايا تابعة للترسخانه (دار صناعة السفن)، وهم ٨٦٠.

- **القائمون على إصلاح السفن:** عددهم ٥٠٠.
- **صانعو المضخات:** لهم دكانان، يعمل بهما ١٠ صناع.
- **بائعو القار:** لهم ٧ دكاكين، يعمل بها ١٥.
- **فتالو الكتان المقطرن:** لهم ٧ دكاكين، يعمل بها ٠.
- **فتالو الحبال:**

لا دكاكين لهم، وهم ١٥٠، ويفتلون حبال أربع وسبعين ألف بذر من نبات الحلفا.

- **صانعو شراع السفينة:** لهم ٣ دكاكين، ويعمل بها ٣٠.

وهذه الطوائف كلها فى مدينة بولاق. وقد مضوا مدججين بالسلاح وزينوا قواربهم الصغيرة بالأعلام ووضعوها فوق مركبات وجروها داخل مدينة القاهرة صائحين «يا مولا يا مولا»، رافعين أعلامهم وعبر كبير صناع المراكب وفى معيته ثمانين فتى فى أبهى حلة وسط عزف الموسيقى العسكرية. وهم الطائفة الوحيدة التى حملت الأعلام.

(الفصل السابع)

طوائف الخبازين وتجار الغلال

فى مصر أم الدنيا ٧٠ دكانا للخبازين، وإذا قيل إنها تكفى أبناء النيل وهم بحر من البشر فذلك لأن فى كل قصر من قصور الأعيان والأثرياء فرن خاص، كما أنه فى كل

(١) الكتخدا: الوكيل أو النائب، كان من كبار رجال الدولة العثمانية، ولهم من ينوب عنهم فى أعمالهم ويعاونهم، ويطلق عليهم «كتخدا». انظر: معجم الدولة العثمانية ص١١٢.

بيت من بيوت الفقراء تنور صغير. وكل إنسان يخبز خبزه فى بيته ويبيع الصبية والفتيان والنساء الخبز على محفات فى كل ركن من أركان السوق السلطانية.

لذا فإن هـذه الأفران السبعـين تكفى أهل الـقاهرة، وجملـة من يعملـون بها ٦٠٠ خباز. وهـم يستخدمـون روث الخيل الجاف وقودا فـى جميع هذه الأفـران. وهذا فى المذهب الشافعى نجس حرام، إلا أنهم يضطرون إلى استخدامه لندرة الحطب.

وثمة طـوائف أخرى للـخبازين وهـم صانعو الفـطائر وغيـرها من المخبـوزات مثل السميط والقطائف والغرايبة والبقسماط والـرقاق والشعرية وخبز البلح أى فطائر البلح. ويبلغ عدد هذه الحرف خمسة عشر حـرفة، لهم ٢٥٠ دكانا. وهم لا يستخدمون روث الخيل فـى خبز الفطـائر، وإنما يستخـدمون أعواد الفول الجـافة وقشر الحمـص ونشارة الخشب وما شابه. ويعمل فى هذه الأفران ما يقرب من ٢٠٠٠ خبار.

- **طائفة صانعى النشاء:** لهم ١١ معملا، يعمل بها ١٥٠.
- **صناع الملح:** لهم ١٢٠ مخزنا.
- **حرفة من يعملون فى ملح النطرون:**

لهم مخازن مكتظة بملح النطرون، ولا شئ فـى مصر أكثر من الملح والبصل ويعمل بهذه الحرفة ( )[1]، وهم واسعو الثراء.

- **طوائف العاملين فى طواحين الخيل:**

لهم ٢١٦٠ طاحونه نصفها يتبع المحتسب وما سواها فى حماية الفرق والأغوات إلا أنهم يشتركون فى الموكب وعددهم ٣١٦٠ عاملا، ويـشتغلون فى طواحين الخيل، إنها طواحين عجيبة يديرها جواد أو ثور. وفضـلا عن هذه الطواحين يوجد طاحونة فى كل قصر. ولأنى لم أسأل عنها المحتسب فعلمها ليس عندى.

- **طوائف تجار الغلال:**

لهم ٣٠٠٠ مخزن فى بـولاق ومصر العتيقة والقاهرة، وهـم تجار أثرياء، وعددهم ٣٣٠٠ تاجر، وصورهم وأسماؤهم مقيدة فى سـجلات أمين الأنبار، ونظارها حتى إذا مست الحاجة إلى الغلال طلبت منهم.

---

(١) بياض فى الأصل.

والأب الروحى للخبازين هو «عمر بن عمران البربرى»، الذى نال الإجازة من سلمان الفارسى رضى الله عنه فى مجلس الرسول ﷺ، ومات فى السابعة والثمانين من سنيه، ودفن فى البقيع إلى جوار العباس رضى الله عنه.

وقد مضى هؤلاء الخبازين مدججين بالسلاح، ووزعوا الحلوى والفطائر المختلفة على الناس، ونثروا عليهم كذلك القطائف وسبح البقسماط والرغفان الكبيرة والمضفورة، وهم يتمازحون ويتضاحكون، ومر كبير الخبازين وبجانبه كبير الأعيان، وفى أثرهم غلمان صِباح مدججون بالسلاح، وعبروا على نغمات الموسيقى العسكرية.

(الفصل الثامن)

طوائف القصابين

لهم ٦٠٠ دكان، يعمل بها ١٨٠٠ قصاب. أبوهم الروحى «جوهر القصاب»، وهذا هو اللقب الذى عرف به نصر القصاب، الذى كان يكنى بأبى عقيل، وهو مدفون فى بغداد.

ويذبح فى القاهرة يوميا ٢٢٠٠ من الغنم.

- طائفة العاملين «بالسلخانة» أى المذبح:

إنه مذبح حكومى يقع خارج باب الفتوح، تذبح فيه كل ما فى القاهرة من خراف وعجول وماعز وجِمال وجاموس. ويرأسه أمين وانكشارى جورباجى، وإذا ما ذبحت الأغنام فى مكان آخر غرم ذابحها. ويعمل فى هذا المذبح ٢٠٠ جزار انعدم النور من وجوههم، وكل ما فى هذا المذبح من ذبائح فجلودها للدولة، وهذا ما يلتزم به فلاح يسمى «على الجلاد».

- طائفة قصابى العجل:

لهم ٦٠ دكانا، يعمل بها ٢٠٠ قصاب، يبيعون كذلك لحم الجمال.

- القصابون اليهود:

لهم عشرون دكانا، ويعمل بها ٣٠ قصابا، ولا يشترى منهم أحد. ولحمهم يبيعونه لذويهم من اليهود.

- **حرف اللبانين:** أى صانعى الماست[1]، لهم ٨٠ دكانا، يعمل بها ٢٠٠.

- **حرف لبانى الماعز:**

وهم ٣٠٠، يسيرون فى الأسواق بقطعان الماعز، ويبيعون لبنها.

وإذا ما أراد أحد شراء أوقية من لبن الماعز حلبوا له الماعزة فى علبة، ويبيعون الأوقية بـ «سكة»[2]، وإذا ما زاد اللبن المحلوب عن أوقية صبوه مرة أخرى فى فم العنزة وهم يطوفون فى الأسواق والحارات بعنزاتهم وهم ينادون قائلين «يا صباح اللبن».

- **صانعو الجبن الحالوم:**

لهم ٢٨٠ دكانا، يعمل بها ٣٠٠، وأشهر هذه الدكاكين دكان فى بولاق يسمى «ميت أوغى»، يمتلكه ويديره رجل عربى يبيع صنوفا من الجبن لا وجود لها فى بلد آخر ومذاق جبنه اللذيذ لا وجود له فى «مريشة» دمشق الشريفة.

إنه جبن سريع الهضم. أما صانعو الجبن من اليهود فهم يختلفون، ولا أعرف لهم عددا.

- **طائفة بائعى الأكارع:**

لهم ( )[3] دكانا، يعمل بها ١٢٠، وهم زملاء للقصابين.

- **بائعو الكبد:**

يبيعونها مطبوخة أو نيئًا، لا دكاكين لهم، ويبيعونها فى زنابيل أو على محفة. وهم ٢٠٠ بائع.

- **بائعو الكرش:**

لهم ٨٠ دكانا، وهم ١٢٠، وهم كذلك زملاء للقصابين، إلا أنهم لا يتبعون الطهاة.

- **طائفة بائعى الشمع:** لهم ٤٠ معملا، وهم ٣٠٠.

وهذه الطوائف العشر سالفة الذكر حملت كامل أسلحتها، وزين القصابون أغنامهم السمينة بحبل من الديباج المزركش، وعلقوا فى أحزمتهم الخناجر المرصعة بالجواهر وذهبوا قرون خمسة من خرافهم وسحبوها بسلاسل من فضة، ومروا قاصدين المذبح،

(١) الماست: اللبن الزبادى. (٢) السِّكة: عملة متداولة. (٣) بياض فى الأصل.

ومر كبير القصابين وسط فتيان مدججين بالسلاح وسط عزف الموسيقى العسكرية، وكان موكبهم غاية جمال الزينة.

(الفصل التاسع)

طوائف الطهاة

لهم ٦٠٠ دكان، وهم ١١٠٠، وأبوهم الروحى «إبراهيم عليه السلام»، وهم فى حمى كبير طهاة قصر الباشا وهو حاكمهم، وفى يده تعيينهم وفصلهم وتدبير شئونهم. وليس للمحتسب أغا سلطان عليهم. وفى هذا الموكب مر نائب كبير طهاة قصر الباشا جنبا إلى جنب مع رئيس طهاة المدينة.

- **بائعو الكباب:** لهم ١٠٠ دكان، يعمل بها ٢٥٠.
- **بائعو اليخنى:** لهم ١٠٠ دكان وهم ٣٠٠.
- **بائعو الأرز باللبن والفالوذج:** لهم ( )[1] دكانا، وهم ٧٠.
- **بائعو الخضر:**

وهم يبيعون السبانخ والملوخية والبامية والبقول والقلقاس والقرنبيط والزعتر والفجل والجرجير والعجور والقثاء والخيار. لهم ٢٠٠ دكان وهم ٢٥٠.

- **بائعو الحلو:** لهم ٨٠ دكانا، يعمل بها ٢٠٠.

وصنوف الحلوى والزلابيا التى تصنع فى مصر لا وجود لها فى بلد آخر غيرها. والأب الروحى لهذه الطائفة هو «سيدنا عمر» رضى الله عنه.

- **بائعو السكر:**

لهم ١٥٠ دكانا، وهم ٢٠٠، ولهم ٠ معملا للسكر، يعمل بها ٣٠٠ ويصنعون السكر فى الوقت الذى تعينه لهم الحكومة، ويرسله الباشا إلى الأستانة.

- **طهاة السمك:** لهم ٨٠ دكانا، وهم ١٠٠.
- **طائفة صيادى السمك:** وهم ٦٠٠ صياد يتبعون الحكومة.

---

(١) بياض فى الأصل.

وقد مر هؤلاء من أصحاب الحرف، وهم يعرضون سلعهم، ويتبادلون الفكاهات ومر رئيس طهاة المدينة جنبا إلى جنب مع نائب كبير طهاة القصر، والموسيقى العسكرية تعزف.

(الفصل العاشر)

طوائف البقالين وبائعى الصابون وبائعى الحمص

أبوهم الروحى هو «عزى بن نباش»، الذى نال الأجازة من سلمان الفارسى رضى الله عنه، وتوفى وله من العمر مائة وعشرون عاما، ودفن فى القدس على مقربة من «عين السلوان».

ولهؤلاء جميعًا ١٠٦٠ دكانا، يعمل بها ٢٠٠٠.

وقد ارتدوا الملابس الفاخرة ومضوا فى موكبهم يتبادلون الفكاهات، ومر كبير البقالين جنبا إلى جنب مع وكيل السوق، وفرقة الموسيقى العسكرية تعزف.

(الفصل الحادى عشر)

طائفة الجراحين

لهم ٢٠ دكانا، وهم ٦٠ جراحا، وأبوهم الروحى هو أبو عبيدة القصاب الذى نال الأجازة من سلمان الفارسى رضى الله عنه، ودفن فى الإحساء.

- طائفة الحكماء (الأطباء):

لهم ١٩ دكانا، وهم ٤٠، وأبوهم الروحى هو «لقمان» عليه السلام، وفى العصر الإسلامى «ذو النون المصرى» الذى نال الإجازة من علّى كرم الله وجهه.

- طائفة صانعى المعاجين الطبية:

لهم ٢٠٠ دكان، وهم ٢٢٠ «هاشمى»، وهم يستخدمون معجون الحشيش على نطاق واسع.

- طائفة صانعى الأدوية:

وهم يستخرجون سائر الزعتر والنعناع ولسان الثور والهندباء وما إلى ذلك من الأعشاب، وهؤلاء جميعا لا دكاكين لهم، ولكنهم يعملون فى منازلهم، وهم ٧٠ شخصا.

والطوائف السالف ذكرها يبلغ عدد أفرادها ٣٦٠، وهم من العسكر، وقد مروا مدججين بالسلاح، ومعهم كبير الأطباء وكبير الجراحين، والموسيقى العسكرية تعزف.

(الفصل الثانى عشر)

طائفة صانعى السيوف

لهم ١٢٠ دكانا، يعمل بها ٣٠٠.

- **طائفة صانعى نصال الرماح:** لهم ٣٠ دكانا، ويعمل بها ٦٥.
- **طائفة صانعى السكاكين:** لهم ٢٠٠ دكان، يعمل بها ٢٦٠.
- **طائفة صانعى أربطة السروج:** لهم ٢٠ دكانا، يعمل بها ٣٠٠.
- **طائفة صانعى البنادق:** لهم ١٠ دكاكين وهم ١٨.
- **طائفة صانعى البارود:**

دكاكينهم ١٠ تقع عند باب الحديد، يعمل بها ١٨. وأبوهم الروحى «جمشيد»، وهم يتبعون رئيس الأسلحة.

- **طائفة صانعى الفتائل:**

لهم ٦ دكاكين، ويعمل بها ١١، علاوة على ٢٠٠٠ من الزنوج يفتلون فتائل البنادق من الكتان.

وقد مضى هؤلاء كذلك كل منهم يحمل فى يده قنديلا أو أكثر، وعلى أكتافهم فتائل محترقة، وهم يتبادلون الفكاهات بلغتهم.

وهؤلاء المذكورون آنفا عددهم ٢٣٥٢، وقد مروا وهم يطلقون بنادقهم ويعرضون سلعهم، ثم مر بعد ذلك كبير صانعى السيوف وكبير صانعى البنادق جنبا إلى جنب وفرقة الموسيقى العسكرية تصدح.

(الفصل الثالث عشر)

طوائف الحدادين

لهم ٢٠٠ دكان، وهم ٨٠٠، وأبوهم الروحى «داود عليه السلام»، أما أبوهم الروحى فى العصر الإسلامى فهو «أبو زيد مسلم»، الذى نال الأجازة من سلمان الفارسى رضى الله عنه، وقبره فى صنعاء.

- **طوائف صانعى النعال:** لهم ( )[1] دكانا، وعددهم ١٥٠.
- **طائفة صانعى المسامير:** لهم ٢٠ دكانا، وهم ١٢٠.
- **صانعو المبرد:** لهم ٦ دكاكين أسفل تكية الكلشنى، ويعمل بها ١٠ من الصناع.
- **طائفة صانعى الأزميل:** لهم ٢٠ دكانا، يعمل بها ٢٠ صانعا.
- **طائفة صانعى المنشار:**

يصنعون نوعا خاصا من المنشار يختلف عن غيره، دكاكينهم ٦، يعمل بها ٢٠.

- **طائفة الفحامين:**

دكاكينهم ٥٠ بالقرب من البندقانى والنظامية وبعض الجهات الأخرى، ويعمل بها ٦٠.

- **طائفة صانعى الأقفال:** دكاكينهم ١٠، يعمل بها ١٥.
- **طائفة صانعى الخطاف:** دكاكينهم ٥٠، وهم ١٨٠.
- **طائفة صانعى الركاب:** دكاكينهم ٤٠، وهم ١٥٠.
- **طائفة صانعى المقص:** لهم ٢٠ دكانا، وهم ٦٠.
- **طائفة صانعى حدوة الأحذية:** دكاكينهم ١٠، وهم ١٥.
- **طائفة بائعى الحديد:** لهم ١٥ مخزنا، وهم ٢٠.
- **طائفة بائعى الأشياء القديمة:**

دكاكينهم ٦٠ عند الشيخونية، وميدان الروملى وجهات أخرى، وعددهم ٨٠.

- **طوائف صانعى حدوة الخيل:** دكاكينهم ٨٠، وهم ٢٠٠.
- **طائفة صانعى حدوة الحُمُر:**

دكاكينهم ٢٠٠، وهم ٣٠٠، ولكثرة الحُمُر فى القاهرة فصناعو حدوتهم كثير.

وهذه الطوائف الخمس عشرة عدد أفرادها ٢٠٠٣، وقد حملوا كامل أسلحتهم وعرضوا سلعهم على بسط، وسار كبير الحدادين جنبا إلى جنب مع رئيس صناع الحدوة وسط جماعة من الفتيان الصِباح المدججين بالسلاح.

(١) بياض فى الأصل.

(الفصل الرابع عشر)

طوائف صانعى المراجل

أبوهم الروحى هو «أبو حبيب محيى الدين البخارى»، دكاكينهم ٦٥، وعددهم ٦٠٠ إلا أنه ليست لهم مهارة صناع الترك.

- طائفة من يطلون النحاس:

دكاكينهم ٣، وهم ٤٠، يطلون قدور النحاس القديمة والتى علاها الصدأ.

- طائفة التجار:

لهم ١١٥ حانوتا فى خان الخليل، والصالحية وبالقرب من قلاوون، وهم ٢١٥ من أثرياء التجار، وفى كل دكان للواحد منهم أوانٍ من النحاس يصل ثمنها خمسة أو عشرة آلاف قرش، ولديهم مراجل المبرات، وقدور الكاشف، وليس لديهم المقدرة على تصنيعها فى مصر، فتأتى من بلاد الترك فى السفن.

- طائفة مبيضى النحاس: لهم ١٥٠ دكانا، وعددهم ٣٠٠.

- طائفة من يصهرون المعادن:

إنهم صناع مهرة من عجائب الزمان، ويصنعون قضبان النوافذ وأبواب جميع الجوامع والمبرات، والأسبلة، ولا وجود لنظرائهم فى أى بلد آخر. دكاكينهم ٧٠، وعددهم ٥٠٠.

وعدد أفراد هذه الطوائف الخمس ١٠٦٥، وقد حملوا كامل أسلحتهم، وحمل كل منهم فى يده شمعة كافورية، ومضى كبير صانعى المراجل وكبير من يصهرون المعادن جنبا إلى جنب مع فرقتهم الموسيقية.

(الفصل الخامس عشر)

طوائف الصاغة

أبوهم الروحى «نصر بـن عبد الله الصائغ»، الذى نال الأجازة من سـلمان الفارسى رضى الله عنـه. دكاكينهم ٥٠٠، وهم ٢٠٠٠ معـظمهم من النصارى. ومـنهم صناع بلغت مهارتهم غاية الغايات.

- **طائفة الجوهريين:** دكاكينهم ١٠، وهم ٢٠.
- **طائفة الساعاتية:** أبوهم الروحى يوسف الصديق، لهم ٥ دكاكين، وهم ١٢.
- **رئيس طائفة ضاربى العملة:**

يعمل فـى دار الضرب، وتنحصـر فيه رئاسة هذه الـطائفة، وليس فـى الإمكان أن يوجد غيره يشغل هذا المنصب وهو لا يقترب من أحد ولا يختلط بأحد.

- **رئاسة صانعى الدمغة:** وهى تنحصر فى شخص واحد.
- **طائفة كانسى البرادة:**

يكنسون دكاكين الصاغة والجوهريين، ويستخرجون دقائق الفضة من كناستها.

- **طائفة العاملين فى دار الضرب:**

وهـم ٣٠٠، ولـهـم أميـن أغا، وناظر أغـا، وصاحب عيـار أغا، وأغا للـوزانين ورئيس للصيارفة.

- **طائفة صيارفة الأسواق:**

لهم ٢٠٠ دكان، وعددهم ٣٥٠، نصفهم موظـفون فى ديوان مصر، وهم يحصون الأموال الواردة من الملتزمين فى الديوان.

- **طائفة صاهرى المعادن:** لهم ٣ دكاكين، وهم ٢٠.
- **طائفة الرسامين:** لهم ٢٠ دكانا، وهم ٣٠.
- **طائفة النحاتين:** لهم ٤٠ دكانا، وهم ٦٠.
- **طائفة صانعى الأختام:** دكاكينهم ٣، يعمل بها ٣ أشخاص.

- **طائفة نساجى الصِرمة:**

دكاكينهم ٦، يعمل بها ١٢ نساجا، وهم ينسجون صرمة الكسوة الشريفة.

- **طائفة صانعى المحابر النحاسية:**

لهم دكان واحد يديره رجل بارع يسمى «أمير جلبى»، لا نظير له فى صنعته، وكان قد اشترى عدة أزواج من الغنم من الكعبة الشريفة، فكانت تلد له فى كل مرة زوجا من الغنم، لذا تنتشر غنم مكة فى القاهرة الآن.

- **طائفة صانعى أوعية القصدير:**

لهم ٨ دكاكين، يعمل بها ١٨، وهم جميعا من اليهود والنصارى، والمسلمين فيهم قليل.

(الفصل السادس عشر)

طائفة الحلاجين

أبوهم الروحى «منصور زاهد القطان»، الذى نال الأجازة من سلمان الفارسى، ومثواه فى مدينة «الرى»، وهو غير «منصور الحلاج» الذى صلب فى بغداد.

وللحلاجين ١٥٠ دكانا، يعمل بها ٢٠٠.

- **طائفة صانعى أغطية الرأس:** دكاكينهم ٤٠، يعمل بها ٦٠.
- **طائفة صانعى إغطية رأس النساء:** لهم ٦٠ دكانا، يعمل بها ١٠٠.
- **طائفة صانعى الطراطير:** لهم ١٠٠ دكان، يعمل بها ٣٠٠.
- **طائفة صانعى اللحف:** لهم ٥٠ دكانا، يعمل بها ١٦٠.
- **طائفة صانعى القمصان:** لهم ١٥٠ دكانا، وهم ٢٦٠.
- **طائفة الرفائين:**

وهم يرفون الثياب التى عابها ثقب فيها فلا يظهر فيها أثر لرقعة، ولهذه الطائفة ١٢ دكانا، يعمل بها ٣٠.

- **طائفة مرقعى الثياب:**

أبوهم الروحى «عمار بن ياسر»، الذى نال الأجازة من سلمان الفارسى، ودكاكين هذه الطائفة ٤٠، وعدد أفرادها ٣٠٠.

- **طائفة صانعى الخيوط:** لهم ٥٠ دكانا، وهم ١٥٠.

- **طائفة الغزالين:**

أبوهم الروحى «عبد الله بن جعفر الطيار»، لهم ٣٠٠ دكان، وهم ١٦٠٠.

- **طائفة صانعى الأزرار:** لهم ٤٠دكانا، وهم ١٥٠ أغلبهم من اليهود.

- **طائفة صانعى الحرير:** لهم ١٠٠ دكان فى سوق الغورى، وهم ١٥٠.

وهذه الطوائف الأربعة عشر عدد أفرادها ٦٠٤٦، مر فتيانهم الصباح مدججين بالسلاح، ومر رئيس حاكة قصر الباشا مع «الشهر حواله» وهما يركبان جوادين ويسيران جنبا إلى جنب، وفرقة الموسيقى العسكرية تعزف.

(الفصل السابع عشر)

طوائف الخيامية

أبوهم الروحى ناصر بن عبد الله المكى الحيان، الذى نال الأجازة من سلمان الفارسى رضى الله عنه، وقبره فى بغداد إلى جوار الإمام الحسين.

ولهذه الطائفة ١٠٠دكان، ويعمل بها ٦٠٠ عامل غاية فى المهارة. وإن كانت خيامهم لا تبلغ فى جودتها وروعتها جودة وروعة خيام حلب واسطنبول. وهم يصنعون خياما ومظلات جيدة لا بأس بها.

- **طائفة صانعى الأحزمة:** لهم ٥٠ دكانا، وهم ١٥٠.

- **طائفة صانعى حبال الخيام:** ليست لهم دكاكين، وإنما يعملون فى العراء، وهم ٣٠٠.

- **طائفة صانعى الحبال الغلاظ:**

وهم كذلك يعملون فى العراء، وعددهم ١٥٠٠. **إنهم فقراء.**

- **طائفة رفائى حواشى الخيام:** لهم ٣ دكاكين، وهم ٦ أشخاص.

- **طائفة (مطافان):**

وهم مثل صانعى الأرائك الخاصة بالخيام، ولذا فهم زملاء للخيامية مثل صانعى أحزمة الخيام. ولهذه الطائفة ٢٠٠ دكان، وهم ٦٠٠.

- **طائفة الغسالين:**

دكاكينهم ٨٠، يعمل بها ٢٠٠ غسال، وهم يغسلون الثياب، ولأنهم يغسلون الخيام يشتركون فى موكب الخيامية.

وهذه الطوائف الست عدد أفرادها ٣٢٥٦، وقد مضوا مرتدين ملابسا عسكرية، متبادلين الفكاهات، ومر كبير صناعى الخيام والفرقة العسكرية تعزف.

(الفصل الثامن عشر)

طائفة صانعى السهام والقسى

أبوهم الروحى أبو محمد بن عمران القواس، ولأنه - رضى الله عنه - كان يحمل السهم والقسى سمى بالقواس، وكان يصنعهما. أما سعد بن أبى وقاص فكان يرمى بالسهام وهو الأب الروحى للرماة بالسهام. ومن بعد أصبح الأب الروحى لصانعى القسى محمد الأكبر بن أبى بكر الصديق، وهو مدفون فى مصر فى رملة زين العابدين.

ولا بد لصانعى القسى والسهام من دكان يعملون فيه، ولهم ٤٨ دكانا، يعمل بها ١٦٠.

- **طائفة الرماة:**

لا دكاكين لهم، لأنهم أبطال ليس إلا، وقد نزلت فى شأنهم آية شريفة هى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]. وعددهم ٨٠٠ بطل.

- **طائفة صائدى الطيور:**

وهم فى زمرة صانعى السهام، وعددهم ٦٠٠، يصيدون الطيور ويحضرون أجنحتها وريشها لصانعى السهام، ولذلك فإن عدد الطيور فى مصر قليل.

- **طائفة صانعى المراوح:** دكاكينهم ١٣، وهم ٢٦.
- **طائفة مربى الطيور:** لهم ٦ دكاكين، وهم ١٢.
- **طائفة بائعى الدجاج:** لهم ٢٠ دكانا، وهم ٣٠.

وهذه الطوائف السبع عدد أفرادها ١٦٢٩، وقد مضى منهم مائة مدججين بالسلاح ومائة آخرون حاملين المطارق ومروا مع كبير صانعى السهام والقسى، وفرقة الموسيقى العسكرية تعزف.

(الفصل التاسع عشر)

طائفة الفرائين

وهؤلاء لا يتبعون أحدًا اعتمادًا على قوتهم وعلى قوة رئيس فرائى الباشا. وأبوهم الروحى هو شنك شاه. وهو أول من لبس الفرو على أنه درع، وبقى ذلك عنه فاستحسنه الناس وبدأوا يلبسون الريش، والآن فى بلاد داغستان وبالوخان وقازان، وتتارستان يلبسون الريش.

وللفرائين فى مصر ٢٠٠ دكان، ويعمل بها ٨٠٠، لأن الفلاحين يكثرون من لبس فراء الغنم.

- **طائفة صانعى قلانس الفرو:** لهم ٦ دكاكين، وهم ١٦.
- **طائفة صيادى الحيوانات:** عددهم ٦٠٠.

وهذه الطوائف الثلاث يبلغ عدد أفرادها ( )[1]، ومضوا يحملون كامل أسلحتهم وعليهم فراء الأسد والنمر والببر والذئب، ومروا مثنى مثنى يجرون السلاسل، وألقوها على الناس الذين اصطفوا لمشاهدة موكبهم فتفرق الناس ثم مر كبير فرائى قصر الباشا وكبير فرائى المدينة وسط عزف الموسيقى العسكرية.

(الفصل العشرون)

طائفة نساجى كسوة الكعبة الشريفة

وهم يعملون فى جوسق يوسف. عددهم ٣٠٠، وعلى الرغم من أن عيونهم غائرة إلا أن صناعتهم فوق قدرة البشر وكأنها سحر إعجاز.

ويصبغ حريرهم طائفة الصباغين.

- **طائفة الصباغين:** لهم ١٧ معملا حكوميا، ويعمل فيها ٣٠٠.
- **طائفة صباغى القماش:** دكاكينهم ٣٠، وعددهم ٥٥.
- **طائفة نساجى البَزّ:** أى من ينسجون البز الملون. لهم ٤٠ دكانا، وهم ١٨٠.
- **طائفة البزازين:** لهم ٢٠٠ دكان، وعددهم ٣٢٠.

(١) بياض فى الأصل.

- **طائفة صانعى القمصان:** سبق الحديث عن هذه الطائفة.

- **طائفة الجلاة:**

أبوهم الروحى شيث بن آدم عليه السلام. لهم ١٨٠٠ دكان، وهم ٣٠٠.

وكثرة أفراد هذه الطائفة مما تختص به مدينة القاهرة، أما عدد من يعملون فى منازلهم الله أعلم بعددهم.

- **طائفة نساجى البسط:**

لهم عشرون ٢٠ مصنعا، وهم ٣٠٠ من مهرة الصناع الذين ينسجون بسطا من الحرير تبهر عين من يراها وتصيبه بالوله.

- **طائفة نساجى الأطلس والمخمل:** لهم ١٠٠ مصنع، وهم ٦٠٠ نساج ماهر.

وهذه الطوائف العشر عددها ( )[1]، مضوا وهم يعرضون سلعتهم وفى معيتهم ناظر الكسوة، وأمين طائفة نساجى الحرير متحازين، وفى أثرهم غلمان صِباح وفرقة الموسيقى العسكرية تعزف.

(الفصل الحادى والعشرون)

طائفة الدباغين

أبوهم الروحى «زيد الهندى»، وهو راوية للحديث، ونال الأجازة من سلمان الفارسى بين يدى على كرم الله وجهه، وقبره فى مكة.

ولهذه الطائفة ٢٠٠ دكان، وهم ٣٠٠ من مهرة الصناع.

- **طائفة صانعى الرقوق:** لهم ٦ دكاكين، وهم ٢٠.

- **طائفة صناعى اللباد:** لهم ٥٠ دكانا، وهم ١٥٠.

- **طائفة بائعى الجلود:** لهم ٦ دكاكين، وهم ٩.

ويبلغ عدد أفراد طوائف الدباغين ( )[2]، وقد مضوا يلبسون القلنسوة والقباء من الفرو قارعين طبولهم.

(١، ٢) بياض فى الأصل.

(الفصل الثانى والعشرون)

طوائف الخفافين - أى الإسكافية.

دكاكينهم قليلة، لكنهم كثيرون فى الوكالات. لهم ٢٠٠ دكان، وهم ٥٥٠٠.

- **طائفة صانعى الخف الشركسى:** لهم ٧٠ دكانا، وهم ٢٠٠.
- **طائفة صانعى الجوارب:** لهم مائة دكان، وهم ٨٠٠.
- **طائفة صانعى الخفاف التى تلبس فى المنزل:** لهم ٥٠ دكانا، وهم ١٥٠.
- **طائفة صانعى الأحذية طويلة الساق:**

لهم ( )[1] دكانا، وهم ١٥٠، وهؤلاء يختصون بتصنيع هذا النوع من الأحذية لبيعه لرجال الباشا وضيوفه. فالمصريون لا يلبسون ذلك النوع من الأحذية بل يلبسون الخفاف الشركسية الحمراء.

- **طائفة بائعى الأشياء القديمة:**

علاوة على دكاكينهم عند أبواب الحمامات لهم ٦٠٠ دكان، وهم ١٢٠٠.

ومن يسرقون الخفاف من المساجد وغيرها يبيعونها لهم.

- **طائفة بائعى الخفاف الحاضرة:**

لهم ٣٠٠ دكان نظيف بالقرب من باب الحديد، وفى خان الخليلى، وهم ٦٥٠.

والأب الروحى لصانعى الخفاف وتجارها «محمد الأكبر اليمنى»، الذى نال الأجازة من سلمان الفارسى، وعمر مائة وعشرين عاما، وقبره فى البصرة.

وعدد أفراد هذه الطوائف السبع ( )[2]، وقد مضى صفوتهم مدججين بالسلاح وفى معيتهم كبير الخفافين، وهم قارعين الطبول متبادلين الفكاهات.

(الفصل الثالث والعشرون)

طوائف السراجين

أبوهم الروحى أبو النصر حاتم البغدادى، الذى نال الأجازة من سلمان الفارسى رضى الله عنه. لهذه الطائفة ٦٠٠ دكان، وعددهم ١٠٦٠ من الأثرياء الأتقياء.

(١، ٢) بياض فى الأصل.

- **طائفة صانعو السروج:** وهم يصنعون السروج من الخشب، لهم ٢٠ دكانا، وهم ٥٥.
- **طائفة صانعى سروج الحُمُر:** لهم عشرون دكانا، وهم ٦٠.
- **طائفة صانعى القرب:**

لهم ١٠٠ دكان وهم ٦٠٠. وجميع الحجاج فى حاجة إليهم، فهم يقومون بأعظم الأعمال، وبعضهم من المتصوفة.

- **طائفة صانعى السلال والصناديق:** دكاكينهم ٤٠، ويعمل بها ١٥٠.
- **طائفة صانعى الإكاف:**

أبوهم الروحى «أبو ذر الغفارى»، لهم ٨٥ دكانا، وهم ٣٠٠.

وهذه الطوائف الخمس عدد أفرادها ( )[1]، مضوا حاملين كامل أسلحتهم وفى أيديهم شموع الكافور ووجوهم تشع نورا واجتمعوا فى مكان فكأنهم الشمس بددت ظلام الليل، ومروا قارعين الطبول.

(الفصل الرابع والعشرون)

طائفة العطارين

أبوهم الروحى حسام بن عبد الله البصرى، أخذ الأجازة من سلمان الفارسى رضى الله عنه بين يدى الرسول ﷺ، وتتبع طائفة العطارين عدة مئات من الطوائف الأخرى لأن كل شئ لدى هؤلاء العطارين، ولهم ١٢٠٠ دكان، يعمل بها ١٨٠٠ شخص.

- **طائفة سوق الفحامين:**

يبيعون الأعشاب الطبية والأدوية، لهم ١٠٠ دكان، يعمل بها ١٥٠ معلما كلهم أطباء.

- **دكاكين شمع العسل:** لهم ( )[2] دكانا، يعمل بها ٨٢.
- **طائفة بائعى المسك:** لهم ١٠ دكاكين، وهم ١٥.
- **طائفة بائعى الصابون الممسك:** لهم ٧ دكاكين يعمل بها ١٢.
- **طائفة بائعى العود والعنبر:** لهم ١٠ دكاكين يعمل بها ٢٠.
- **طائفة بائعى ماء الورد:** لهم ٤٠ دكانا يعمل بها ١٠٠.

(١، ٢) بياض فى الأصل.

- **طائفة بائعى البخور:**

يصنعون البخور لمكة والمدينة. لهم ٢٠ دكانا، وهم كذلك ٢٠ شخصا.

- **طائفة بائعى الفناجين:** لهم ( )[١] دكانا يعمل بها ٥٠ شخصا.

- **طائفة بائعى أوعية الفخار للعطارين:**

لهم ٢٠٠ دكان يعمل بـها ٢٠٠. يتوفر لديهم أوعية فخارية وأكواب يتسع الواحد منها لرجل، وهم من أهل التقوى والصلاح.

- **طائفة بائعى الكبريت:**

لا دكاكين لهم يعملون بها لأن رائحة الكبريت كريهة، لذا فهم يعملون فى منازلهم وعددهم ٢٠٠.

- **طائفة صانعى القذائف النارية:**

٨ دكاكين، وهم يصنعون مختلف أنواع القذائف النارية بآلاف الحيل الشيطانية ودكاكينهم عند باب الحديد. وفى عهد إبراهيم باشا فى يوم العيد اتفق أنهم باعوا القذائف للصبيان كالمجانين وفى الحال أشعل أحد الغلمان قذيفة انطلقت داخل أحد دكاكينهم ففجرت عدة آلاف من القذائف النارية وعدة قناطير من البارود فتطايرت دكاكينهم فى الهواء وسط الطريق العام الذى كان يغص بالمارة، وشوت القذائف أكثر من أربعين شخصا من بينهم كبير هذه الطائفة، وجرح مائتان.

إنها حرفة ملعونة إلى هذا الحد البعيد، ومع ذلك ففى موكب العطارين أطلقوا آلاف القذائف النارية على الأماكن القديمة التى لا يسكنها إلا العناكب ولم ينتج عنها أى حريق بإذن الله، ولو كانت هذه النار فى اسطنبول[٢] لضاعت هباء والعياذ بالله. لقد حفظ الله مصر.

- **طائفة صانعى النارجيلة:**

لهم ٣ مصانع يعمل بها ٣٠٠، وكثير من الناس يدخنون النارجيلة.

---

(١) بياض فى الأصل.

(٢) كانت اسطنبول فى ذلك الوقت معظم مبانيها من الخشب، لذا فهى بلد كثيرة الحرائق.

- **طائفة بائعى الحناء:** ٣٠٠ تاجر، مخازنهم فى الوكالات.

- **صانعو الحصير:**

لهم ٨٠ دكانا، يعمل بها ٢٠٠ ينسجون شتى أنواع الحصير المنقوش الذى يبلغ غاية الغايات فى جماله وجودته. ومن عجب أن منهم العميان، وأعجب من ذلك أن هؤلاء العميان يصنعون المراوح من سعف النخيل ويشكلون عليها عبارات مثل: «يا شافى، يا كافى، وشفاء القلوب»، وما يجرى هذا المجرى.

- **نساجو الكتان:** لهم ٢٠٠ دكان يعمل بها ٢٥٠ نساجا.

- **طائفة تجار البُن:**

٦٠٠ من التجار الأثرياء، إلا أنهم أرسلوا خدامهم إلى هذا الموكب ومروا ناثرين البُن على حشود الناس.

- **طائفة تجار الأرز:**

وهم كذلك من ثراة التجار، وقد سلحوا خدامهم وأرسلوهم إلى الموكب، وهم ١٥٠٠ تاجر بالتمام.

- **صانعو المصائد أو الشرك:** لهم ٣٠٠ دكان يعمل بها ٥٠٠.

- **طائفة ناسجى شباك السمك:**

لهم ٧ دكاكين يعمل بها ١١ نساجا.

وموكب العطارين كان يتألف من ( )[1] شخص ولموكبهم مهابة وما فيه من عظمة وأبهة لم يكن لأى موكب آخر. وما فى موكبهم من زينة وفتيان صباح لا وجود له فى طائفة غيرهم، ومر كبير العطارين وفى معيته فرقة الموسيقى العسكرية رباعا رباعا وهم يعزفون وغلمانهم يرفعون أصواتهم بالهتاف والتهليل على نحو يعجز عنه.

(١) بياض فى الأصل.

(الفصل الخامس والعشرون)

طائفة الحمامية

لهم ٥٥ حماما، والحمامية كذلك ٥٥. وأبوهم الروحى «حسن بن عثمان».

- **طائفة المنادين:** إنهم ١٢٠٠.
- **طائفة النواطير:** إنهم ١٠٠٠، أبوهم الروحى «المنصور بن القاسم».
- **طائفة صانعى العمائم:**

لهم دكان فى أعلى القلعة، وهم ٣ من البكم يصنعون العمائم المعروفة بالمجوزة والبريشانى والقلاوى لأعضاء الديوان.

وهذه الطوائف السبع عدد أفرادها ( )[1]، وقد ارتدوا الملابس العسكرية وأصبحوا فى كامل زينتهم حاملين كامل أسلحتهم ومضوا على تلك الهيئة ومن خلفهم صبيانهم قارعين الطبول.

(الفصل السادس والعشرون)

طائفة نقاشى القسى

يعملون فى بيوتهم، وكل منهم فى فنه بهزاد ومانى.

- **طائفة المذهبين بصحائف الذهب:** أى دكاكين صحائف الذهب وهى ٣ يعمل بها ١١.
- **طائفة المذهبين:** لهم ٧ دكاكين يعمل بها ١١. إلا أنهم ليسوا مهرة فى فنهم.
- **طائفة مجلدى الكتب:** لهم ٨ دكاكين يعمل بها ١٥٠.
- **طائفة الصحافين:**

لهم ٢٠ دكانا يعمل بها ٣٠. أبوهم الروحى «عبد الله اليتيم»، وهو مدفون فى سهل الخرق بالحبشة، وقد تيسرت لى زيارته ثلاث مرات، وضريحه يزوره العوام والخواص.

- **طائفة الوراقين:** لهم ٥٠ دكانا يعمل بها ٦٨.
- **طائفة صانعى أختام الأوراق:** لهم ١١ دكانا يعمل بها ٣٠.

(١) بياض فى الأصل.

- **طائفة الرمالين (المنجمون):**

لهم ( )[1] دكانا يعمل بها ٤٠ شخصا ولكن فيهم الجهابذة الكمل.

- **طائفة كاتبى «العرضحال»:**

٤٥ دكانا يعمل بها كذلك ٤٥، منهم نصارى سريعو الكتابة.

- **طائفة صانعى المداد:**

لهم ٣ دكاكين يعمل بها ٦، وهم لا يذيبونه فى هاون مثل الترك، وإنما يغلونه على النار.

- **طائفة المصورين:**

إنهم ٢٠، ولا دكاكين لهم، وفى كل مكان يجتمع فيه الناس يرسمون صورا على الجدران تكون غاية فى الروعة والإبداع.

- **طائفة الزجاجين:** لهم ٨ دكاكين يعمل بها ٢٠.

وعدد أفراد هذه الطوائف المذكورة أعلاه ( )[2]، مضوا مقيمين الزينات حاملين القناديل وفى معيتهم كبير الرسامين وسط عزف الفرقة العسكرية.

(الفصل السابع والعشرون)

تجار خان الخليلى

لهم ١٥٠٠ خزانة متنوعة تقوم طائفة من الحراس على حراستها كل ليلة وهم ستمائة من الزنوج الشجعان يحملون الحراب، وفى كل ليلة تضاء أرجاء الخان بثلاثة آلاف قنديل.

- **طائفة الدلالين المعتمدين:** عددهم ٣٠٠ دلال.

- **طائفة الدلالين الضامنين:** وهم ٦٠٠ دلال.

- **طائفة سماسرة الخيول:** عددهم ٢٠٠ لهم أمين أغا واحد، وجورباجى واحد، وثلاثة كتاب.

- **طائفة وسطاء سوق الخيول:** وهم ٢٠٠ شخص.

(١، ٢) بياض فى الأصل.

- طائفة سماسرة خان الخليلى:

عددهم ٥٠، ومهمة هؤلاء هى أنه إذا شاء أحد شراء شىء ما نادر بحث عنه هؤلاء السماسرة وأخبروا المشترى بمكانه.

- طائفة الصوافين: لهم ١٠ دكاكين يعمل بها ١٨.

- بائعو الحرير والمخمل والخلع والبز والسجاجيد والعباءات والعمائم:

وعدد أفراد هذه الطوائف سالفة الذكر ( )[1]، وهم قد حملوا كامل أسلحتهم وأصبحوا وكأنهم الجيش الجرار، ووصفهم فى فكاهاتهم وزينتهم مما يقصر عنه الوصف ومروا.وفى معيتهم كبير التجار وكبير الرسامين وكبير الوراقين، وطبولهم تقرع.

(الفصل الثامن والعشرون)

طائفة المهرجين

ذكروا تفصيلا فيما سبق، وهم جميعا ٧٠٠٠ مهرج يمثلون ٧٠ طائفة وإذا ما تحدثنا عن ماهية كل منهم لطال بنا الكلام ونكون قد امتدحنا الدجال وما قالوا من فكاهات وأضاحيك فى تلك الليلة لم يأتى بمثلها أبوهم الروحى «أبو على». حتى أن جميع المشاهدين وضعوا أصابعهم على أفواههم مندهشين متعجبين وبالغوا فى الضحك. وهؤلاء من شياطين الإنس فى مصر لا وجود لهم فى أوربا ولا الهند. وبينهم من كان يلعب بالنار فى الموكب ويطلق القذائف النارية ولم يكن لهؤلاء فرقة موسيقية لأنهم يجتذبون انتباه الناس إليهم أكثر من الفرقة الموسيقية.

(الفصل التاسع والعشرون)

طائفة الموسيقيين

أبوهم الروحى فيثاغورث التوحيدى وعبد الله الفارابى . عددهم ٧٠٠، وقد مروا وهم يعزفون على سبع وأربعين آلة موسيقية.

(١) بياض فى الأصل.

(الفصل الثلاثون)

موكب جند مصر

مروا موكبًا موكبًا يفصل الموكب عن الآخر زينات من القناديل والمشاعل، ومرت كل فرقة وفيها شعراء ومغنون وعازفون. وبعد مرور موكب المصريين على هذا النحو مر أغوات الباشا وهم فى كامل زينتهم وأبهتهم متحازين، وجنائب الباشا وملازمو الانكشارية من ذوى الطوغين، وشطار الباشا وعلى رءوسهم الخوذات، وسقاءوا ركاب الباشا وفى معيتهم المحتسب أغا الذى امتطى جوادا مطهما عليه سرج محلى بالجواهر وكان يلوح بالسلام على جانبيه، وفى أثره مضى كتخدا بوابى الباشا وأربعمائة من غلمان قصر الباشا وسط عزف الفرقة العسكرية ذات التسعة صفوف، وبعد ست ساعات وصل الموكب العظيم إلى قصر القاضى عسكر وأطلقت فرقة المدفعية طلقة واحدة تحية وابتهاجا وصفق جاويشية ديوان مصر. ثم تقدم القاضى عسكر وتبوأ مكانه فى المجلس. وبعد تقديم القهوة وماء الورد وإحراق البخور ألقى المحتسب أغا كلمته ترحيبا بالقاضى عسكر أفندى فقال:

«إن مولاى صاحب الدولة يقرأ عليكم السلام. هل هذه الليلة المباركة ليلة رمضان؟ وهل غدا غرة الشهر المبارك أم يوم الشك؟ أننوى الصيام؟ أفدْنا يا مولاى حتى نرسل هذه الجموع من الجند حاملة البشرى لسلطاننا بحلول شهر رمضان المعظم». وعندما انتهى المحتسب أغا من إلقاء كلمته قال قاضى العسكر أفندى: «ليحضر فى التو شيوخ الإسلام على المذاهب الأربعة» وعندئذ تقدم نحو القاضى عسكر جميع العلماء والصلحاء وشيوخ الإسلام.

وإن كان الهلال ظهر فإن ذلك يثبت ويقيد فى سجلات القاضى عسكر، ويسلم المحتسب أغا حجة شرعية فيها أن غدًا هو غرة رمضان. فيرسل المحتسب أغا والكتخدا البُشرى إلى الباشا ويقرأ الباشا الحجة الشرعية وينوى الصيام بناء على ما ورد فيها. وتضاء القناديل أول ما تضاء فى منارة جامع الدهيشة فى ميدان قصر الباشا ومن بعد فى منارات جامع قلاوون وتطلق المدافع فى القلعة فى منتصف الليل أربعين طلقة أو أكثر

فتهتز السماء والأرض وتزدان الثمانمائة وستون منارة فى مدينة القاهرة فإذا هى نور على نور، ويمضى كل شخص لأداء صلاة التراويح وينوون الصيام.

وإذا سأل المحتسب أغا قاضى العسكر أفندى ولم يشاهد الهلال، فإن القاضى عسكر - طبق القانون- يبسط سماطا ليسد جميع الأغوات والأعيان وأرباب الديوان جوعتهم، ويمر جميع أفراد الطوائف الذين فى فناء قصر قاضى عسكر أفندى من أمام مجلس المحتسب أغا وقاضى العسكر حاملين زيناتهم. ثم يطلق اللاعبون بالألعاب النارية سبعين قذيفة كقذائفهم فى يوم الإحتفال بقطع النيل، وتستمر عروضهم ثلاث ساعات، وعندما ينتهى موكب المغنيين والموسيقيين يبدأ موكب جند الأوجاقات السبعة فى التحرك لإخبار الباشا بأن هلال رمضان لم يشاهد من أى جهة إلى تلك اللحظة ولا تضاء القناديل ولا يكون يوم تلك الليلة رمضان وإنما يوم الشك. وبما أن هذا الأمر يحتمل وجهين يخبر المحتسب حتما الباشا بذلك.

وعندما حانت لحظة الوداع خلع المحتسب أغا على القاضى عسكر أفندى خلعة أرسلها إليه الباشا لأن القاضى عسكر فى تلك الليلة أنفق ألف قرش فى ضيافته تلك. وعلى هذا النحو مضى المحتسب أغا ثانية إلى الموكب وعاد إلى منزله قبيل الفجر، وعندما نزل عن صهوة جواده تبادل شيوخ الطوائف الفكاهات قائلين «طريق طريق» ويمضون فى شوارع القاهرة فى ضجة وجلبة كما مضى الشيوخ إلى بيوتهم وعاد الجميع إلى ديارهم. وعندما وصل المحتسب فى موكبه إلى داره جلس على كرسيه وبعد أن وزعت القهوة والبخور على أغوات الأوجاقات السبعة منح طائفة العسكر - على نحو ما سبق ذكره فى تعريفات الطوائف العسكرية - كيسين ومضى جند مصر جميعا. ثم منح أغوات الباشا كيسين ليوزعوها فيما بينهم وكيسين لتقديمهما إلى الباشا ونصف كيس للكتخدا كما وزع المحتسب أغا العمائم على اثنى عشر من أصحاب المراتب من أغوات قصر الباشا تطييبًا للخاطر.

وعلى هذا النحو انتهى موكب ليلة المحتسب أغا. والمنح التى قدمها المحتسب أغا للباشا والكتخدا وأغوات الباشا وأفراد الأوجقات السبعة فهى من الأكياس العشرة التى جمعها ممن تحت إدارته من طوائف الشيوخ الثلاثين أصحاب الطبل خانه ومن

تحت سيطرته كذلك من أفراد مائة وستين طائفة حرفية، وذلك بمعاونة الكتخدا والنقباء والجاويشية.

ولكن بما أن عدة طوائف تحت إدارة خدام الباشا لا يحصل منهم أى شىء. فالطهاة تحت حماية كبير طهاة الباشا، وجميع أصحاب المقاهى تحت حماية رئيس شطار الباشا، وجميع الخبازين تحت حماية كبير خبازى القصر وكل الجوهريين تحت حماية كبير جوهريى الباشا.

وبما أننى كنت أعد فى خدمة الباشا والأمين أغا وصاحب العيار ورئيس ضاربى العملة والناظر أغا والوزان أغا و١٥ من (وهده كش)، وعشرة من حراس الخزانة وضاربو العملة العشرون وعشرون من الماهرين وخمسة من الفرانين وعشرة من «يصى جى»، وعشرة من الصيارفة القائمين على الإحصاء وعشرة من الوزانين ورئيس الصيارفة وهو واحد وهؤلاء جميعا يبلغ مجموعهم خمسمائة من العاملين فى الضرب خانه لا يدفعون شيئا للمحتسب.

وجميع الحاكة تحت حماية كبير حاكة الباشا لا يدفعون شيئا كذلك.

ونفس الشأن بالنسبة للفرانين الذين تحت حماية رئيس فرانى الباشا. إلا أن هؤلاء جميعا يشتركون فى الموكب. وهذه الطوائف لا تدفع أى أموال للمحتسب فى الظاهر ولكن حينما يعزل الباشا فلا يقام أى وزن لرئيس الشطار ولا رئيس الطهاة ويرهبون المحتسب ولذا يقدمون له الأموال سرا وعلانية لأنه حينئذ الحاكم الحر المطلق الإرادة الذى يخشونه. ويساهم أهل الطوائف جميعا فى نفقات موكب ليلة المحتسب حسب ما جاء فى قانون مصر.

وموكب ليلة المحتسب أحد مواكب الأعياد فى مصر والبالغ عددها ( )[1]، ولا نظير لهذا الموكب على وجه الأرض. حتى أن أهل مصر يحددون مواعيد زواجهم على ليلة هذا الموكب.

وإذا ما تحدثت عما رأيته تفصيلا لاقتضى ذلك منى تأليف مجلد قائم بذاته. لذا تحدثت عنه بإيجاز.

***

(١) بياض فى الأصل.

الفصل التاسع والأربعون
ذكر أهل الصناعات فى مصر
ممن لا وجود لهم فى غيرها من البلاد

- الترياق الفاروقى:

إن الترياق الفاروقى الذى يجهز فى مستشفى قلاوون التى سلف الحديث عنها لا وجود لمثله فى الدنيا بأسرها. ومن مصر يصدر هذا الترياق ومشتقاته إلى شتى بقاع العالم.

- الترياق الكنعانى:

وفى المستشفى ذاته يصنعون سما زعافا يبلغ من قوته أنه يؤثر على الخيول والبغال حتى من حوافرها. و«الترياق الكنعانى» يبطل مفعول هذا السم. إنه عبارة عن شىء صلب أصفر يشبه الكشتبان. ولله الحمد أننى أملك شيئا من هذا الترياق. وقد اكتشفه من يدعى كنعان رحمه الله بينما كان يبحث فى علم الكاف. وكان متضلعا من شتى العلوم ولم يفته الإحاطة بعلم قط. حتى إنه كان له سبعون من مخترعاته حازت على إعجاب العالم بأسره.

- معجون العقرب:

إنه كذلك شىء عجيب، وممن يجرى عليهم راتب من أوقاف قلاوون من إذا رأهم الشيطان استعاذ بالله يسمون «صيادى العقارب»، وهم عشرة أشخاص. إذا ما أراد كبير الأطباء تحضير «معجون العقرب» هذا أرسلوا هؤلاء الصيادين إلى البرية وهناك يحفرون عدة حفر فى الرمال، ويضعون فى كل حفرة وعاء من الفخار المبطن من الداخل بالزجاج، ويسوون فوهته بالأرض ويضعون بداخله قطعة من الكبد ويضعون قطعا أخرى عند حافته حتى إذا ما انتصف الليل خرجت العقارب متصيدة فتشم رائحة الكبد ويسيل لعابها كالكلب وتسقط فى الوعاء إذا ما بلغت حافته. ويتوالى سقوط العقارب على هذا النحو. وفى الصباح تكون هذه الأوعية قد امتلأت بما لا يحصى كثرة من العقارب وتصبح عاجزة على الخروج منها. فيأتى الصيادون ويملأون مخلاتهم بهذه

العقارب ويسلمونها إلى كبير الأطباء فى مستشفى قلاوون. فيقومون بقطع ذيلها وأرجلها بالمقص ويطبخونها فى قدور من الفخار ويفصلون زيتها ويصنعون من لحمها معجونا بالسكر.

وإذا ما أصيب أحد باحتباس البول وأكل منه مقدار نصف حبة حمص تفتحت مثانته فهذا المعجون مدر قوى للبول. ولكن ينبغى عدم الإكثار من استعمال هذا المعجون.

- **مصنع السكر:** وهو حقا جدير بالمشاهدة.
- **معمل النوشادر:** وهو جدير كذلك بالمشاهدة وسوف أتحدث عنه فى حينه.
- **مصنع ملح البارود:**

إنه مصنع عظيم فى بولاق يستحق المشاهدة، وفى القرى الأخرى مصانع كثيرة لملح البارود وكلها مملوكة للدولة. ويصنعون منه البارود الأسود.

- **ملح النطرون:**

إنه كذلك يشبه الملح. والكثرة الكاثرة من أهل مصر يستخدمونه بديلا من الملح فى طعامهم فهو ينضج اللحم فى طرفة العين. كما أنه إذا أذيب فى طعام نيئ حله لذا لا لذة فى طعام أهل مصر. ولندرة الحطب فى مصر يضعون هذا الملح فى طعامهم كى ينضج سريعا. بيد أنه يسبب تورم الخصية وسلس البول لمن يستعمله بكثرة.

وصانعو النرجيلة يستخدمونه كذلك. ويُصَدَّر من مصر إلى بلاد الترك. وبإضافته إلى الزجاج يذيبه ويجعله كالماء عندما يوضع على نار هادئة. ويوجد بكميات هائلة فى مخازن بولاق بالقاهرة. ولهذا الملح أمانة مستقلة وهو يدر دخلا للحكومة.

- **طائفة صانعى خزانات ماء الحمامات:**

إن خزانات المياه الساخنة لجميع الحمامات مصنوعة من الرصاص، وهذا أمر عجب.

فى بيان قبائح مصر وطوائف الصوباشى

وهذه الطائفة ملاعين وزنادقة.

- **بغايا باب اللوق:**

٨٠٠ بغى، وهن من أهل المعصية، ولهن أكواخ بين الرمال وعند باب حصن باب اللوق:

- بغايا المنازل:

وهن يعملن سرا فى منازلهن، ولكن لهن قوادون. وعددهن ٢١٠٠ بغى، وهن مقيدات فى دفتر الصوباشى ويؤدين الضرائب. ولأنهن تحت سيطرة طوائف الجند لا يستطيع الصوباشى تحكما فيهن ولذا لا تقع البغى تحت طائلة العقاب.

- غلمان باب اللوق:

يترددون على المقاهى والحانات وميدان الروملى وكلهم مأفونون ولوطيون. وهم كذلك يؤدون الضرائب للدولة.

- شيوخ القوادين:

إنهم ٣ أحدهم فى باب اللوق والآخر فى مصر العتيقة والثالث فى مصر الجديدة. وجميع البغايا والغلمان مقيدون فى سجلاتهم. وعليهم دفع الضريبة للدولة.

- جاويشية باب اللوق:

٤٠ وهؤلاء يعرفون بيت كل بغى ويعرفون كذلك هل باتت البغى فى منزلها أم لم تبت.

- دياثو باب اللوق:

يمضون من بيت إلى بيت مقيمين سوقا كسوق الخيول والبغال ويربحون من ذلك.

- قوادات النساء:

إنهن عجائز مهمتهن البحث عن حسان البغايا لمن يقبل عليهن وينلن عن ذلك أجورهن. وهن ٣٠٠ عجوز لعينة.

- المتسوقه:

يذهبون لشراء ما يطلب منهم من حانات باب اللوق أو دكاكين الكباب وينقلون آلات الطرب ويتقاضون على ذلك أجورهم وهذا ما يكفل لهم العيش.

وبعض الفتيان من أسفه السفهاء يستأذنون من سادتهم فى الخروج بحجة أنهم ماضون إلى الحَمَّام ويولون وجوههم شطر باب اللوق. وحينما يجالس الواحد منهم

بغيا فى أحد الأكواخ تطلب منه خمرا وكبابا بـ «پاره»[1] وفى التو يعطى من يذهب إلى السوق ٣ أقچات[2] ليهيئ طلبه. ويضعون فى الخمر القرنفل الأبيض والطاطوله وصمغ الأذن ورماد الحصير. وإذا ما تناول هذا الشاب قدحا ثمل ومال كأنه غرارة الحناء.

وسرعان ما يجردوه من كل ملابسه وسكينه وخنجره، وكيس نقوده ويحمله الرعاع دون أن يحقق مرامه ليطرحوه فى الطريق ولا يستطيع أحد أن يكشف سر من جرد من ثيابه وبقى عاريا هكذا. وإن كان لديه كثير من النقود قتلوه وأخفوا جثته دون أن يعلم أحد إلا الله.

وفى عهد «جان بولاد زاده» كثر القيل والقال عن وقوع مثل هذه الحوادث فأصدر الباشا أوامره إلى أحد رؤساء البوابين بهدم بيوت هؤلاء الفُسَّاق، وعندئذ جمع الأغا المذكور ألفا من الزنوج والفلاحين فسووا بالأرض جميع الحانات ومضارب البوزة وبيوت الدَّعارة ونفى جميع البغايا وطهر القاهرة من رجسهن.

والغرض من ذكرنا لهؤلاء هو تنبيه الغافلين حتى يتحرزوا منهم فى المناطق التى يجب التحرز فيها.

- شيخ الشحاذين:

له تكايا فى ميدان الروملى يجتمع فيها كل الشحاذين. وله اثنا عشر من الجاويشية يقفون عند باب الباشا وباب القاضى عسكر أفندى حتى يخبروا شيخهم بأى صوب يمضى الباشا فيحتشد الشحاذون على جانبى الطريق العام. ويبلغ عدد الشحاذين فى القاهرة ٩٠٠٠ شحاذ وهم مقيدون فى دفاتر شيخ الشحاذين وهم يتلقون الصدقات من الباشا والأعيان ويدعون الله لهم بالخير.

وإذا ما بسط شحاذ لسانه بالسوء فى حق أحد نبه شيخه بذلك ليقتص منه.

- أضحوكة أخرى:

وفى يوم خروج الكسوة الشريفة يركب شيخ الشحاذين حمارا وإلى جانبه أعور وأقطع وأقرع ومعهم عدة آلاف من الشحاذين. وهذا ما لا وجود له فى بلد آخر غير مصر.

(١) الپاره: العملة العثمانية.
(٢) الأقچه: وحدة النقد العثمانية.

- طائفة صانعى القناديل:

لهم ٤٠ دكانا، تظل مفتوحة حتى الصباح أيام الموالد والمواسم وشهور رجب وشعبان ورمضان. وتزين هذه الدكاكين بالقناديل. ويلزم كل تاجر أن يضع قنديلا على دكانه المغلق. وفى ليالى المواسم تزين المدينة بالقناديل. وإذا ما أردنا إشعال ألف قنديل أو أكثر اتفقنا مع أفراد هذه الطائفة على أن يزينوا المنازل والطرق العامة بالقناديل. وهذا فى مصر وحدها لا فى بلاد غيرها.

- تجار الرقيق:

عددهم ٢٠٠٠، مقرهم فى الوكالات. يمضون فى العام مرة إلى بلاد الفونج وولايات أواسط أفريقيا لصيد الزنوج. وأغلب تجار هذه الطائفة من جنوب مصر.

- جراحو تجار الرقيق:

عددهم ١٠ يعملون فى منازلهم أما مهنتهم اللهم عافنا فهى إجراء عمليات الخصى حيث يقدمون شراب الزعفران المخدر إلى أربعين أو خمسين أو مائة من الأطفال الزنوج ثم يصففونهم ويقطعون بالموسى ذكورهم بأكملها ويضعون قطعة من القصب فى موضع الذكر ويوقفون نزيف الدم بمسحوق أحد الأعشاب التى تنمو فى السودان ويضعون مسحوق أشجار السنطة مع دهان أسود ثم يلفون الجرح بقماش معين. وبذلك ينقطع نسل جميع هؤلاء الأطفال الأبرياء.

إنهم عشرة رجال سمر البشرة لا يعرفون الرحمة، قساة، انعدم النور من وجوههم الدميمة. وقد خصوا أكثر من مائة من الأطفال الزنوج ليرسلونهم هدايا إلى كتخدا إبراهيم باشا ومضيت لمشاهدتهم فإذا بهم - الله عافنا- كالدجاج المذبوح مقيدين، منهم من يخر على الأرض إعياء ومنهم من امتنع عن النطق من عدة أيام.

إلى هذا الحد البعيد هؤلاء النخاسون قساة.

- نساجو البسط:

لهم ٢٠ مصنعا، يعمل بها ٣٠٠ نساج ينسجون البسط الحريرية والسجاجيد التى يعجز اللسان عن وصف جمالها وروعتها. وعلى الرغم من أن السجاجيد تصنع فى مدينة عشاق وقولا و والاشهر إلا أنها ليست فى جودة ما ينسج فى مصر منها.

- الحَمَّارة:

إنهم ٣٠٠ حَمَّـار. وحُمُر القاهرة حُـمُر سريعة لا يدركـها الخيول السريـعة. وفى القاهرة ٤٠٠٠٠ حمار على نحو ما يقال. وجميع أعيان مصر يركبونها ما فى ذلك من عيب. لأن ذلك سُنّة عن الرسول ﷺ. فقد كان له حمـار يسمى «اليعفور» يركبه على الدوام. حتى إن أحدا إذا ركب حمارا وسخر منه أحد اتهمه الناس بالكفر والزندقة.

- حلاقو الحمر:

لا دكاكين لهم، إلا أنهم يوجدون فى أماكن معـلومة يظلون فيها. وهم يقصون وبر الحُمُر والجِمال مرة كل شهر. وعددهم ٢٠٠ حلاق يـقصون وبر الحُمُر والجِمَال بالمقص ولا يبقون له من أثر وكأنهم استخدموا فى ذلك الموسى.

- النشالون:

إنهم تحت سيطرة الصـوباشى، وهم يسرقون أكياس النقود والخناجـر والسكاكين من جانب الناس ومن صدورهم، ويقدمون على ذلك دون حياء أو تردد.

إنهم ٣٠٠ نشال. ولابد من الاحتراس منهم فـى الأماكن المزدحمة. إنهم مهرة إلى حد جد بعيد فهم يـسرقون العين من الكحل ويبقى الكحل فـى موضعه. ولهم كذلك مشيخة مستقلة. وإذا ما سرق أحدهم شيئا وطـلبه الصوباشى بحث عنه شيخهم ووجده له فى التو فجميع النشالين مسجلون فى دفتره.

- صانعو الأسرة:

يصـنـعـون الأسِّرة وأقـفـاص السكـر مـن سعـف النخيل. وعـدد أفراد هذه الطائفة ( )[1] ولا وجود لمثلهم فى بلد آخر غير مصر.

- الزبالـون:

عددهم ( )[2] يكنسون كذلك الشوك والقش فى الطرق العامة ويحملونه إلى مواقد الحَمَّامَات ومصانع الزجاج والمخابز ومصانع الجص والجير ومصانع الأكواب حيث يستخدم وقودا. وليس فى مصر من يشبه هذه الطائفة فى غرابة هيئتها وسيماها وكأنهم

(١، ٢) بياض فى الأصل.

مخلـوقـات نسـخت. لقد رأيت أن بـعض أتقيـاء الأمة يقبلـون أيدى هؤلاء الزبـالين المحتقريـن المذمومين عندمـا يشاهدونهم. وكثيـر من الناس لهم راسخ الاعـتقاد فى أن هؤلاء الزبالين من أولياء الله مثل المجاذيب وبـائعى الأشياء القديمة. لا يعلم الغيب إلا الله. يقول المولى سبـحانه وتعالى فى حديثه القدسى: «أوليائى تحـت قبابى لا يعرفهم غيرى».

- بائعو لحم الجمال المطبوخ:

يبيعون كذلك كبد الجمال. إنهم ١٠ أشـخاص ولهم ١٠ دكاكين. إنه طعام الفقراء إلا أنه غاية فى لذة طعمه ولقد أكلت منه مرات ومرات.

- بائعو الفئران المطبوخة:

لا دكاكين لهم، يبـيعون ما يبيعون فى أكواخ وخيام فـى ميدان الروملى. وهم ٢٠ بائعا. ولكن لهذه الفـئران مواسم فعند قطع النيل يخرج الصيـادون لصيدها وإحضارها إلى ميدان الروملى ويبيعونها.

والفأر حيوان صـغير، يشبه الأرنب إلى حد بـعيد وهو يكثر فى الأرض بمشـيئة الله ولقد شاهدت ذات مرة دماءها تسيل أثناء مرور حديدة المحراث على جحورها. ولذلك كان أكلها حلال فى المذاهب الأربعة. وعندما تكبر الفئران يجدون عند موضع جحورها أكواما من الرمـل فيعلم من ذلك أن ثمة فـأرا كبيرا فيحفرون الأرض ويـخرجونه. إنه حيوان لطيف يشبه السنجاب فى وبره، يزن خمسين أو ستين درهما. إنه سمين الجسم، لحمه خفـيف وشحمه خفيـف وهو سريع الهضـم ومقو. وعندما ذهبـت إلى الواحات أكلت من لحمـه كثيرا. وهو يقتات بـجذور النباتات تحت الأرض، ولا يأكـل شيئا ذى روح.

- بائعو الحشيش والخمر:

لـهـم دكانـان فـى ميـدان الروملـى، يعمـل بهمـا شخصـان، ينقعـون الحشيش لليلة ويستخرجـون مـاءه الذى يضعـون فيـه العـسـل المصفى ويبيعونـه كذلك فى كؤوس لمن يطلب.

ويقال إن من يشرب منه كأسا وراح ينظر إلى وجه حبيبته وقع نشوة وأنشد ألف بيت من الشعر ويصبح خصب الخيال.

- **بائعو السوبية:**

والسوبية بوزة تصنع من الأرز، وقد سبق الحديث عنها وهذا المشروب لا وجود له إلا فى مصر.

- **بائعو التمر هندى:** إنه مشروب راحة للأبدان وهو لا وجود له إلا فى مصر.

- **بائعو شراب العرقسوس:** ذكر آنفا وهم كذلك لا وجود لهم إلا فى مصر.

- **صانعو العقوة:**

يصنعون الخنجر العربى المعروف بالعقوة فى حجم السيف، لا وجود لمثل هؤلاء فى بلاد الترك.

- **صانعو الحصير:** ينسجون الحصير المنقوش الجميل الذى يباع بأربعين أو خمسين قرشا.

- **الطهاة:**

يطهون أرز «الكوسكوس»، والملوخية والبامية والقلقاس والقرنبيط. وصنوف الطعام هذه لا وجود لها إلا فى مصر.

- **دراويش التوابل:**

أغلبهم من دراويش اليمن يحملون أنواعا من الرياحين والسنبل والياسمين داخل منشفة ويوزعون الفل وشقائق النعمان على من يصادفونه من الأعيان وينالون منهم الصدقات إنهم سبعون أو ثمانون، وهم كذلك فى مصر وحدها.

***